

من رواد العمل الاستقلالي المغاربي الموحد

"الشيخ إسماعيل الصفائحي"

أ. بوبكر صماري

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

ملخص : في المقال الموسوم " من رواد العمل الاستقلالي المغاربي الموحد "الشيخ إسماعيل الصفائحي" نتناول حياة الشيخ إسماعيل الصفائحي وأعماله داخل تونس ونشاطه في المشرق العربي وإسطنبول وأوربا، في سبيل استقلال بلدان المغرب العربي خلال الحرب العالمية الثانية رفقة رواد العمل الاستقلالي المغاربي، تطرقنا خلاله إلى أصله ونسبه ومولده، حصوله على الشهادات العلمية وتقلده المناصب في تونس، مغادرته إلى المشرق العربي ونشاطه خلال الحرب العالمية الأولى الذي تطرقنا فيه إلى : نشاطه رفقة الشيخ صالح الشريف، النشاط الفكري للشيخ الصفائحي وأهم مؤلفاته، آراؤه السياسية والفكرية، مصادرة أملاكه بتونس، وفاته.

الكلمات المفتاحية : إسماعيل الصفائحي ، المغرب العربي ، جامع الزيتونة ، لجنة استقلال الجزائر وتونس، الدولة العثمانية ،ألمانيا .

Abstract: In the article titled "Sheikh Ismail Al-Safaihi, one of the pioneers of the unified Maghreb independence work" we discussed the life of Sheikh Ismail Al-Safaihi, his works inside Tunisia, and his activity in the Arab Levant, Istanbul, and Europe, for the sake of the independence of the countries of the Maghreb during World War I, along with the pioneers of Maghreb independence work, during which we touched on His origin, lineage, and birth, his obtaining academic degrees and

holding positions in Tunisia, his departure to the Arab Levant, and his activity during World War I, in which we touched on: his activity with Sheikh Saleh Al-Sharif, the intellectual activity of Sheikh Al-Safayhi and his most important works, his political and intellectual opinions, the confiscation of his property in Tunisia, and his death.

key words : Ismail Al-Sfayhi, the Maghreb, Al-Zaytouna Mosque, the Independence Committee of Algeria and Tunisia, the Ottoman Empire, Germany

مقدمة :

يعد الشيخ إسماعيل الصفايحي من رواد العمل الاستقلالي المغاربي الموحد، رافق الوطنيين المغاربة في الكثير من المحطات الهامة ولازمهم خاصة خلال الحرب العالمية الأولى، لذي توجب علينا إبراز دوره الرائد وجمع كل ما يبرز شخصيته وأعماله للمهتمين والباحثين في تاريخ المغرب العربي .

1. أصله ونسبه :

إسماعيل بن محمد حمدة بن حسن ابن الحاج إسماعيل بن محمد القائي البوسنوي ثم التونسي⁽¹⁾، ويعود في أصوله كما يتضح في اسمه إلى البوسنة، قدم جده محمد البوشناقى إلى تونس في اواسط القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، وكان جده موظفا في سلك الإدارة العثمانية، وأنجب ولدين أحدهما اسماعيل الذي صاهر عائلة الكفيف التونسية وهي من العائلات العريقة التي يعود نسبها إلى الأسرة الحفصية التي حكمت تونس⁽²⁾.

وأعقب إسماعيل ولده حسن الذي غلبت عليه حرفته ، فصار يدعى "الصفياحي" ، وأعقب حسن ثلاثة من الأولاد الذكور من زوجته ابنة حموده بوغازلي ، الذي ينتسب إلى إحدى الأسر التركية المتوطنة في تونس⁽³⁾.

2. ولادته ونشأته :

ولد إسماعيل الصفياحي بنهج حمام الرميبي زنقة فتوح عدد 9 بتونس ليلة الاثنين الثاني والعشرين ربيع الآخر عام 1269هـ/ الثاني من شهر فيفري 1853م⁽⁴⁾ ، بينما ذكر "بيير باردان" أن الشيخ إسماعيل الصفياحي ولد سنة 1856 م⁽⁵⁾ وكذلك "أرنولد غرين"⁽⁶⁾ ، فيما ذكر تقرير أممي فرنسي حرر بتاريخ 14 جانفي 1924م بأن إسماعيل الصفياحي ولد في الأول من شهر جانفي 1856م⁽⁷⁾.

وبعد أن تجاوز سن الطفولة الأولى أرسله أبوه إلى الكتاب⁽⁸⁾ بالمدرسة القرآنية بحمام الرميبي⁽⁹⁾ ، حسب عادة ذلك العصر، فبني مؤدبه صالح الرياحي بتأديبه وأنكب على تلقيه وتدريبه إلى أن استوعب القرآن حفظا في بضع سنين⁽¹⁰⁾ وفي سنه 1285هـ/ 1868م دخل في سلك المتعلمين بدار العلوم جامع الزيتونة الأعظم⁽¹¹⁾.

3. تقلبه في الوظائف وارتقاؤه في المناصب :

حصل الشيخ إسماعيل الصفياحي على شهادة التطويح مما أهله لممارسة مهنة التدريس فتولى بذلك تدريس أولاد الوزير خزندار إلى جانب متابعة تحصيله العلمي في جامع الزيتونة⁽¹²⁾ وتقلد ابتداء من سنة 1298 هـ

1880م وظيفة النيابة عن من يتخلف عن التدريس من أساتذة المدرسة الصادقية⁽¹³⁾ وفي سنة 1302 هـ / 24 ديسمبر 1884م عمل موثقا في جمعية الحبوس " الأوقاف " وشاهدا على أوقاف الديوان في المحكمة الشرعية العليا ثم عين مدرسا بجامعة الزيتونة من الدرجة الثانية في 22 مارس 1885م⁽¹⁴⁾ بعد أن اجتاز بنجاح مناظرة التدريس سنة 1302 هـ / 1884م⁽¹⁵⁾، ثم أصبح أستاذا للغة العربية بالمدرسة الصادقية في فيفري 1892م وعضو إدارة نفس المدرسة، ثم عضوا بالمجلس الأعلى للمدرسين⁽¹⁶⁾ واستمر مواظبا معتنيا بما عهد إليه من تعليم أبناء وطنه بما جعل مدير المعارف مشويل يختاره لإدارة العصفورية⁽¹⁷⁾ في سنة 1885م⁽¹⁸⁾ والتي أنشأها لتخريج المعلمين وقد عملت إدارة المعارف على تعميم نظام المدرسة الفرنسية العربية، مع توخي طريقة غير مكلفة وهي إدراج تعليم الفرنسية ضمن أعمال الكتاتيب، مع توفير الإطار اللازم لذلك ببعث مدرسة العصفورية لتخريج المؤدبين تتضمن برامجها دروسا في الفرنسية والحساب والجغرافيا⁽¹⁹⁾ وفي 20 أكتوبر 1895م⁽²⁰⁾ أحرز الرتبة الأولى في التدريس بالجامع الأعظم وهي نهاية ما يصل له المتعلم بكده وجدده وكان ذلك بفوز باهر في مناظرة عالية لم يتمالك بعده الفضلاء عن أن يعربوا عن إعجابهم به في ذلك الوقت البهيج، قدمت للشيخ بهاته المناسبة جملة من التهاني منظومة ومنثورة منها قصيدة لتلميذه الشيخ الخضر حسين .

مطايا العلم تصعد بالأعالي الى فلك المعارف والمعالي

وأنفس زينة لمن امتطأها من الشهب العتاق لدى اختيال

وسود طروسه احلى دلالا على الأحنان من غنج وخال

فنشر لطائف الآداب تحي به الأرواح من سنة الضلال.. (21)

أسندت إليه الحكومة التونسية سنة 1896م ولاية القضاء الحنفي مما استدعى تخليه عن وظيفة التدريس ، كما أسندت إليه سنة 1904م عضوية لجنة إصلاح فهارس الكتب بجامع الزيتونة وجمعت اللجنة من شيوخ العلم من بينهم محمد بن الخوجة ، ويبدو أن انتمائه لعائلات الحاضرة التونسية (العاصمة) المحظوظة إلى جانب مذهبه الحنفي وأصوله غير التونسية فتحت بلا شك الطريق أمامه للتقدم لهذه الوظائف (22) ، ولبت الصفائحي في منصب القضاء حتى سنة 1906م حيث عزم على مغادرة تونس (23) .

4. مغادرته إلى المشرق :

في الأول من شهر سبتمبر 1906م طلب الصفائحي عطلة من الوزير الأول لأداء فريضة الحج وتم قبول عطلته رغم تحفظات الأمانة العامة للحكومة وبتاريخ 10 أكتوبر 1906م توجه على الحج (24) ، ثم توجه إلى دمشق ومنها بعث باستقالته من منصب القضاء ، ليغادرها بعد سنة متوجهها إلى الأستانة وهناك أسندت إليه الحكومة العثمانية وظيفة التدريس في جامع السلطان أحمد سنة 1908م ، ثم عين مدرسا بمدرسة الوعظ والإرشاد التي أنشأت زمن السلطان عبد الحميد الثاني بهدف تخريج جيل من الخطباء يتولون الخطابة الشرعية والإرشاد في جوامع العاصمة والولايات (25) .

5. نشاطه قبل الحرب العالمية الأولى :

الملاحظ بصورة عامة اقتران نشاط الشيخان إسماعيل الصفائحي والشيخ الشريف صالح (26) ، مدعما من طرف شكيب أرسلان ، النائب في مجلس

المبعوثان العثماني الذي سعى جاهدا للحفاظ على الروابط بين العرب والأتراك (27) ولعل أول نشاط مشترك بين الشيخين يعود إلى سنة 1910م عندما أسسا معا جمعية الأخوة الجزائرية التونسية في اسطنبول وقد كان لها فرع في دمشق نشيط بين المهاجرين الذين كان اغلبهم من الجزائر ولها فروع في بلاد الشام والحجاز لاسيما فرع المدينة المنورة (28).

ولعلها هي نفسها الجمعية الخيرية الإسلامية (29) التي كان من أعضائها إلى جانب الصفائح، صالح الشريف الشيخ عبد العزيز جاويش والمكي بن عزوز، وكان هدفها إبراز وترويج فكرة الجامعة الإسلامية (30).

اجتمع الجزائريين والتونسيين في الأستانة في نادي قدماء تلاميذ دار الشفقة، الاجتماع الذي ضم أكثر من 80 عضوا ترأسه الشيخ اسماعيل الصفائح، وكان الهدف من هذا الاجتماع وضع أسس جمعية الأخوة للمساعدة و الدعم المعنوي بين مواطني هذين البلدين الجزائريين والتونسيين الذين أرسلوا تشكرات إلى الحكومة العثمانية على الدعم و الضيافة، وأخذ كثير من المتدخلين الكلمة خاصة الشيخ صالح الشريف التونسي (31).

في شهر أوت سنة 1910م قام مهاجرون جزائريون و تونسيون بمظاهرة ضد فرنسا بعد قدوم بارجتين إلى اسطنبول اشترتها من ألمانيا حيث أوردت جريدة تركيا الفتاة التي تصدر بالفرنسية سرورها بالتظاهرة التي قام بها الجزائريين والتونسيين المقيمين في الأستانة مجددين الشعور بالانتماء العثماني وكان من بين المشاركين فيها محمد باشا ابن الأمير عبد القادر مع ابنه قاسم باي، الشيخ اسماعيل الصفائح وولده محمدا، الشيخ صالح الشريف، الدكتور

أحمد شريف، الدكتور صاحب باي (بروفيسور في مدرسة الطب بدمشق) ،الدكتور طاهر باي والسيد سيف الدين تادي غاستويت⁽³²⁾ رافعين لافتة مكتوب فيها باللغتين العثمانية والعربية تحية إشادة من المهاجر الجزائري والتونسي للبطلين خير الدين بربروس ودرغوث ريس⁽³³⁾، حيث أعطوا دليلا جديدا على ثبات عواطفهم العثمانية⁽³⁴⁾.

كانت الصداقة قد توطدت بين كل من إسماعيل الصفائح وصالح الشريف بثادي غاستويت البولوني المسلم، ففي 28 نوفمبر 1909م اختارت اللجنة البولونية يوم وفاة الشاعر الوطني البولوني "آدم ميكوييتش" Adam (Mickiewicz)⁽³⁵⁾ لتعقد بمسرح الحقول الصغيرة بتركيا اجتماعا لـ"ممثلي الأمم"، التي اغتنمت حسن الضيافة التركية واستدعت مجريين، جيورجيين، إيرانيين، مصريين، تونسيين و "إسرائيليين"، ألقى فيه إسماعيل الصفائح كلمة بالعربية قرأت بالتركية من طرف عبد العزيز باي التونسي فيما مثل الحزب الوطني المصري حسن حاسب باي⁽³⁶⁾.

في شهر سبتمبر 1913م قامت مجموعة من التونسيين المقيمين بالقسطنطينية على رأسهم إسماعيل الصفائح بزيارة إلى "أدرنة" عاصمة إقليم تراقيا⁽³⁷⁾ بهدف تمكين المهاجرين التونسيين من المشاركة في الاحتفالات التي نظمت في عاصمة تراقيا بعد استرجاعها من طرف الدولة العثمانية⁽³⁸⁾.

5. نشاطه خلال الحرب العالمية الاولى (1914-1918 م) ودوره في تأسيس لجنة استقلال الجزائر وتونس:

رافق اندلاع الحرب العالمية الأولى محاولة سلطات الحماية الفرنسية إحكام قبضتها على البلاد التونسية وملاحقة الوطنيين وتشريدهم وإعلان الأحكام العرفية، وتعطيل الصحف والمجلات⁽³⁹⁾ مما اضطر الكثير منهم لمغادرة تونس وقد تزامنت هذه الأوضاع الجديدة مع الدعاية الواسعة التي قام بها الاتحاديون وحلفاؤهم الألمان في محاولة لإثارة الشعوب الإسلامية بإعلان الجهاد⁽⁴⁰⁾، الذي أعلنه السلطان العثماني محمد رشاد الخامس (1909/1918م)، سنة 1914م بهدف الالتفاف حول الخلافة الإسلامية، وتأجيج مشاعر المسلمين الخاضعين لسلطة الدولتين الاستعمارييتين إنجلترا وفرنسا بغرض فتح عدة جبهات ضد "الحلفاء" لإجبارهم على تشتيت جهودهم العسكرية وإثارة المسلمين ضدهم وخاصة في الهند ومصر وشمال إفريقيا⁽⁴¹⁾ وقد ساعدت هجرة إسماعيل الصفناحي؛ محمد بيرم الخامس وعبد العزيز جاويش ومحمد الخضر حسين والمكي بن عزوز وصالح الشريف، وعبد العزيز الثعالبي، والأخوين علي ومحمد باشا حانبه إلى اسطنبول على بلورة السياسة الإسلامية العثمانية نحو شمال إفريقيا في أوقات متفاوتة، كما انتقل بعضهم إلى ألمانيا إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى في صيف 1914م عاملين على توحيد الجهود لتحرير بلدانهم من الاستعمار الفرنسي في إطار الجامعة الإسلامية⁽⁴²⁾.

قام إسماعيل الصفناحي مع عدد من الوطنيين بإعلان جمهورية شمال إفريقيا بالتحالف مع الدولة العثمانية وألمانيا وقد اعترفت بها الدولتان الحليفتان (تركيا وألمانيا) إلى جانب النمسا، لكن ألمانيا اشترطت للاعتراف بهذه الجمهورية إعلان الثورة في شمال إفريقيا ضد سلطات الاحتلال الفرنسي وإثر

اندلاع الحرب كلفت حكومة الاتحاديين الصفايجي إلى جانب صالح الشريف ومحمد الخضر حسين بالقيام بمهمة خاصة تتمثل بالاتصال بأسرى الحرب المغاربة وتنظيمهم ضمن فرقة واحدة تزود بالسلح والذخيرة وترسل عن طريق الغواصات إلى طرابلس الغرب وهذا الدور قام به سليمان الباروني باشا (43) سنة 1916م التي كان مقررا أن يرأسها علي باشا حامبه بنفسه ليكون مندوبا عن السلطان العثماني لتحرير مسلمي الشمال الإفريقي من الاستعمار الفرنسي (44) .

انتقل إسماعيل الصفايحي سنة 1916م بطلب من الحكومة التركية إلى برلين بمعية صالح الشريف والأمير علي باشا بن الأمير عبد القادر الجزائري والشيخ أحمد الكزبري من دمشق وفي عام 1916م شكل الصفايحي وثلة من الوطنيين المغاربة لجنة استقلال الجزائر وتونس للدفاع عن قضايا مسلمي شمال إفريقيا أمام الرأي العام العالمي والخاصة الألماني (45)، من مطالبها الأساسية الدعوة إلى تحرير تونس والجزائر من سيطرة الاستعمار الفرنسي، (فقد حان الوقت ليطالب الشعب بالعدالة ضد الاضطهاد و حقه في حياة الحرية والاستقلال (46). وقد ذكرت جريدة كولونيا "Gazette de Cologne" ليوم 7 جانفي 1916م أنه انعقد بفندق "إسبلاناد" برلين، اجتماع استقلاليي الجزائر وتونس حضره حوالي مئة من النواب والعسكريين، إضافة إلى سفير تركيا وعضو قيادي من "ولهيماتراس" وقد استعرض صالح الشريف في هذا الاجتماع أعمال الاضطهاد الفرنسي ضد مسلمي شمال إفريقيا وصرح بأن الجزائريين والتونسيين ليس لهم أمل إلا في قوى المحور للحصول على استقلالهما (47) .

في تقرير صدر عن وزير الحرب الفرنسي إلى المقيم العام الفرنسي بتونس بتاريخ 17 جانفي 1917م يحمل رقم 11/9 427 تحدث عن برقية مرسلة بتاريخ 14 جانفي 1916م تحمل رقم 11/9 371 تتضمن ترجمة لمقال صادر في "جريدة فوس" "Gazette de Voss" وهو تحليل لمقال صادر في "جريدة كولونيا" في 6 جانفي حول اجتماع فندق "اسباناد"، حث فيه المقيم العام على مراقبة نشر وثائق لجنة المسلمين التي ستحاول عرضها في تونس مع تجميع الوثائق الاستعلاماتية الواردة والصادرة عن الشخصيتين التونسييتين المشار إليهما في المقالين "اسماعيل الصفايجي وصالح الشريف" (48) وقد تفرعت عن هذه اللجنة لجنة أخرى تحمل نفس الاسم أسسها في نفس السنة علي باش حانبه في اسطنبول ثم ظهرت لجنة أخرى فرعية بجنيف برئاسة محمد باش حانبه (49)، والملاحظ على هذه اللجنة أنها كانت معتدلة في مطالبها إذ طالبت بإصلاحات لتونس والجزائر تحت نظام الدولة المستعمرة لكن مع سنة 1917م اختلف الأمر بعد تصريح السلام الذي نادي به "ويلسون" وظهور مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ووصول "كليمنصو" إلى رئاسة الوزارة الفرنسية استعادت اللجنة بعض الآمال وطالبت من خلال "مجلة المغرب" بنظام ملائم لآماله من خلال دستور للبلدين (50).

كان لجماعة المغاربة بعض الشكوك في تحقيق هذه الآمال فالشيخان صالح الشريف والصفائح قاما بطلب المساعدة الألمانية للحصول على الاستقلال المستقبلي ولما لم تجد آذان صاغية غيرت اللجنة من لهجتها وطالت بالاستقلال في إطار الخلافة الإسلامية العثمانية وأصدرت كتيب بعنوان "شكاوى الشعوب المضطهدة" وطالبت بالاستقلال الكامل والفوري" (51).

في مؤتمر اللجنة الهولندية - الإسكندنافية في نوفمبر 1917م بستوكهولم، حضر وفد من الوطنيين المغاربة (مراكشي، جزائري وتونسي)، برئاسة الشيخ إسماعيل الصفائحي وصالح الشريف ومحمد العتايي إلى جانب ممثلي الدول الإسلامية الأخرى⁽⁵²⁾، طالبو فيه باستقلال بلادهم الكامل دون قيد أو شرط بل إنهم هددوا فرنسا بتنظيم ثورة مسلحة ضدها بعد أن ذكروها بوعودها خاصة بتصريحات السيد "ريبو" الناطق باسم الجمهورية الفرنسية بأن فرنسا تقاتل من أجل حقوق الشعوب⁽⁵³⁾.

1.5. نشاطه رفقة صالح الشريف:

ارتبط نشاط الصفائحي بنشاط صالح الشريف وأخذ عدة وجوه وهي :

أولا: الانتقال إلى الجبهة الغربية الألمانية بهدف الاتصال بالجنود المسلمين في الجيش الفرنسي خاصة المغاربة لحثهم على الانتقال إلى صفوف الجيش التركي وحليفهم ألمانيا وتنفيذا لذلك قاما بكتابة نشرات دعائية أقيمت على خط جبهة القتال وكان مضمونها توعية المسلمين ضمن جيوش الحلفاء لطبيعة الاحتلال الأجنبي لبلادهم وحثهم على ضرورة الجهاد إلى جانب الخليفة العثماني الذي أعلن الجهاد على انكلترا وفرنسا وروسيا وأن ألمانيا والنمسا تحاربان في صف الخليفة، ترتب على هذه الدعاية انتقال أعداد كبيرة من هؤلاء الجنود من الجيش الفرنسي إلى الجبهة الألمانية حيث نجحوا في إقناع الجنود المسلمين "الفرنسيين" الأسرى بالانضمام إلى الجيش التركي (في المرة الأولى تم تجنيد 800 جندي ورتيب، وفي المرة الثانية 480 جندي وبعض الضباط)، هؤلاء الجنود توجهوا إلى جبهات فلسطين والعراق وبعضهم أرسل إلى الحبشة

للتحسس على الإنجليز في مصر قبل دخول إيطاليا الحرب⁽⁵⁴⁾، ليقاتلوا أعداء الإسلام والخليفة⁽⁵⁵⁾.

ثانيا : الدعاية في معسكر الهلال الخاص بالأسرى المسلمين منهم المغاربة (جمع فيه الألمان حوالي 800 مسلم)، بهدف تحريضهم على القتال ضد الفرنسيين وفي هذه الفترة نشر الصفائحي وصالح الشريف نشرية توزع بين الأسرى سميت "الجهاد"⁽⁵⁶⁾.

ثالثا : أصدر الصفائحي وصالح الشريف عملا مشتركا باسم "تونس والجزائر" نشرت النسخة الألمانية في برلين سنة 1916م والنسخة الفرنسية في لوزان سنة 1917م⁽⁵⁷⁾ فكان لا بد على منظرى الجامعة الإسلامية أمثال صالح الشريف التونسي وإسماعيل الصفائحي تطويع المفهوم التقليدي للجهاد بين "دار الكفر" و"دار الإسلام" ليستوعب التحالفات الجديدة التي اقتضتها الظروف⁽⁵⁸⁾.

اتخذ نشاط إسماعيل الصفائحي والوطنيين المغاربة عموما مظاهر متعددة كالمساهمة باسم لجنة استقلال الجزائر وتونس في المؤتمرات والندوات الدولية، من بينها :

أ - المؤتمر الثالث للقوميات في لوزان في شهر جوان سنة 1916م .

ب- ومؤتمر الشعوب الإسلامية الذي عرف بتجمع القوى الإسلامية الثورية في "باكو" الذي اشترك فيهما بعض الوطنيين العرب المقيمين في ألمانيا⁽⁵⁹⁾.

ج- مشاركة الشيخان بتقديم مذكرة إلى مؤتمر السلام المقرر عقده في فرساي سنة 1919م للمطالبة باستقلال الجزائر وتونس، ويبدو أن الشيخين

الصفائحي والشريف قدما مذكرة مطولة أطلق عليها اسم " بيان توحش فرنسا في القطر التونسي الجزائري " (60).

د- أرسل الشيخان بريقة للرئيس الأمريكي ودرو ويلسون وردا على ذلك أصدرت السلطات الفرنسية أحكاما غيابية تتضمن حجز ممتلكاتهما وتجريدتهما من حقوق المواطنة (61).

2.5. النشاط الفكري للشيخ الصفائحي وأهم مؤلفاته:

من الملاحظ أن الأعمال الفكرية للشيخ اسماعيل الصفائحي كانت مرتبطة بزميله صالح الشريف ، وذلك لعدة أسباب: تداخل نشاط الرجلين وتمائل النشاط السياسي والفكري الذي قاما به عدا أن جل هذه الأعمال يجمعها قواسم مشتركة واحدة وهي فضح أساليب الدول الاستعمارية وخاصة فرنسا ودعوة المسلمين للتلافي حول دولة الخلافة (62).

ومن بين هذه المؤلفات نذكر على سبيل المثال :

- كتيب "يقاف الاخوان لدسائس الأعداء و ما يقتضيه الحال"

- "التسجيل على فرنسا في قطر تونس و الجزائر _ بيان توحش فرنسا في القطر التونسي _ الجزائري و الاستنجد اليه" للشيخين صالح الشريف و اسماعيل الصفائحي .

- نشرة "نداء لجنة استقلال الجزائر و تونس"

_ كتيب "شكاوى الشعوب المظهدة : تونس و الجزائر" أصدرتها لجنة استقلال الجزائر و تونس (63).

كانت كتابات الشيخين محل متابعة دقيقة من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي ، فحسب مذكرة تحمل رقم :1034 مرسله من رئيس المجلس وزير الخارجية إلى "الابيتت" "ALAPETITE" المقيم العام الفرنسي بتونس بموضوع الدعاية الألمانية في البلدان الإسلامية بتاريخ 19 أكتوبر 1916م يشير فيه إلى أن إسماعيل الصفائحي نشر بإسطنبول في سبتمبر 1915م كتابا بالعربية تحت عنوان "إيقاظ الإخوان لدسائس الأعداء وما يقتضيه حال الزمان" (64)، وكذلك كتاب "الفصول المستطابة في أصول الخطابة وآلام الشعوب المضطهدة تونس والجزائر" وهو الكتاب الذي ذكره أبو القاسم سعد الله . في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي (65).

وقد قال عنه علال الفاسي أنه "خير مثال يجب ان يقتدى به الشباب المغربي وزعماء الحركة المعاصرة ، لأنه يمثل حركة دائمة وجهادا مستمرا ، في خدمة القضية المقدمة" (66) .

3.5. آراؤه السياسية والفكرية :

تتمثل آراء الشيخ الصفائحي في كتبه مؤلفاته التي نشر منها كتابه "إيقاظ الإخوان" الذي كتبه في إطار الدعاية التي نظمتها الدولة العثمانية بالتعاون مع حليفها ألمانيا القيصرية ضد الحلفاء في الحرب العالمية الأولى التي تهدف إلى توحيد جهود المسلمين والتفافهم حول الدولة العثمانية في فترة الحرب باعتبارها تستمد شرعيتها من كونها دولة الخلافة الإسلامية التي حافظت على دار الإسلام وذبت عن حوزته وحث المسلمين على ضرورة مقاومة الاحتلال الأجنبي لدار الإسلام ، والانضواء تحت راية الجهاد المقدس التي أعلنها الخليفة

السلطان العثماني ضد دول الحلفاء (انكترا، فرنسا وروسيا) وإثارة حماس المسلمين من خلال فضح نوايا تلك الدول ضد الإسلام وخليفته وعدائها السافر المتمثل باحتلال أجزاء من دار الإسلام، ودق ناقوس الخطر للأمة الإسلامية، الذي ينذر بوقوع البقية الباقية منه تحت الاحتلال فيما إذا تقاعس المسلمون عن نصره الدولة العثمانية وحليفاتها ألمانيا (67).

4.5. مصادرة أملاكه بتونس (68) :

نظرا للنشاط الاستقلالي الدؤوب الذي قام به الشيخ إسماعيل الصفائحي قامت سلطات الاحتلال بتونس بمصادرة جميع أملاكه المنقولة وغير المنقولة، فقد أصدر الباي (محمد الناصر باشا)، مرسوما في 15 شعبان 1335هـ الموافق 6 جوان 1917م يقضي بمصادرة الأملاك المنقولة وغير المنقولة ملك لإسماعيل بن حمدة الصفائحي " الذي ثبت عصيانه بناء على مغادرته المملكة التونسية في أكتوبر 1906م بدعوى أداء فريضة الحج بالبقاع المقدسة وتوجه إلى دمشق وانخرط في سلك جماعة المسلمين الذين جعلوا من هته المدينة مركزا للعمل ضد النفوذ الفرنسي بإفريقيا الشمالية وأنه قبل خطة مدرس بجامع السلطان أحمد بالأستانة وأنه تعاطى منذ ابتداء الحرب خدمة للدول المعادية لفرنسا" (69)، كما وجهت إرسالية من طرف السيد المدير العام للمالية بتونس إلى الأمين العام للحكومة التونسية بتاريخ 11 أوت 1917م تحمل رقم 78433، بخصوص بيع الأملاك المنقولة وغير المنقولة " للمتمرد " إسماعيل بن حميدة الصفائحي، حيث قام علي بن لاغا صهر إسماعيل الصفائحي ووكيله بتقديم لأملاك الدولة "شارع نابل رقم 55" المبالغ المالية التي في رصيده المقدرة

ب: 2702 فرك فرنسي و 213175 فرك فرنسي رصيد صافي ، كما تلقت منه جميع الأملاك لاتخاذ جميع الأحكام التنظيمية (70).

وفي عريضة مقدمة بتاريخ 10 سبتمبر 1923م من طرف عائلة المرحوم اسماعيل الصفايحي ، زوجته مامية وبناته صليحة ، شريفة ، سعدية ، فاطمة وابنه محمد المقيمين بجراح باشا بجانب حي المسجد رقم 2 اسطنبول (71) ، موجهة إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسية تطالب فيها استرجاع أملاك المرحوم إسماعيل الصفايحي المصادرة من طرف السلطات الفرنسية بتونس بصفتهم ورثته ، ذكروا فيها أنهم راسلوا السلطات الفرنسية بتونس قبلها مرتين ، وأشارت العريضة إلى أن " ورثة الشيخ صالح الشريف التونسي قد ردت إليهم أملاكهم المصادرة قبل انتهاء الحرب... فيما هم لم يسترجعوا ممتلكات وريثهم إسماعيل الصفايحي (72) ، فيما عبر عدد كبير من "الشباب التونسي" عن سخطهم خاصة عبد العزيز الثعالبي الصادق زميرلي وأحمد جعبي مدير سابق لجريدة الصواب من مرسوم الباي الذي تم بموجبه مصادرة أملاك كل من : إسماعيل الصفايحي صالح الشريف ، الطيب جميلو ، محمد باش حامبة ، علي باش حامبة (73) .

5.5. وفاته :

توفي الشيخ إسماعيل الصفايحي في 27 ديسمبر 1918م (74) وأفادت مذكرة أمنية فرنسية تحمل رقم 65 بتاريخ 17 جانفي 1919م أن وفاة إسماعيل الصفايحي باسطنبول ، "دون أن تحديد تاريخ الوفاة" ، الخبر كتبه أرملة علي باش حامبة المتواجدة بايطاليا إلى أخت إسماعيل الصفايحي بتونس (75) .

كان الشيخ محل عناية الشرقيين والتونسيين فقد ترك بحما ذكرا حميدا إلى أن وافته المنون بالأستانة العلية في ربيع الأول عام 1337هـ / 1918م بعيد الهدنة بين المتحاربين في الحرب العالمية الأولى بقليل تاركا بذلك ما تركه بتونس من الذكر الجميل والعلم الجليل الذي بثه في صدور الرجال (76) .

الهوامش :

- (1) يوسف المرعلشي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر وبذيله عقد الجواهر في علماء الربع الاول من القرن الخامس عشر، دار المعرفة، بيروت 2006، ص 241.
- (2) عليان الجالودي، « الشيخ اسماعيل الصفائحي دراسة في مواقفه وآثاره 1853-1918 م »، مجلة جامعة الامير عبد القادر، (قسنطينة)، م 16، ع 4، 2001، ص 101.
- (3) نفسه، ص 102.
- (4) أحمد العباسي، الشيخان المجاهدان، المرجع السابق، ص 89.
- (5) Pierre Bardin, **Algériens et Tunisiens dans l'empire Ottoman de 1848 à 1914**, Editions du centre national de la recherche scientifique, Paris , P 191.
- (6) Arnold H. Green , **The Tunisian Ulama 1873-1915 , Social Structure And Response To Idéological Currents ,** LEIDEN E , Hungary 1978 , P 115.
- (7) Archive National Tunisienne , **Gens à Surveiller , Ismail sfayhi ancien cadì , 1895-1924**, gouvernement Tunisien ,section surveillance politique indigènes .
- (8) العباسي، الشيخان المجاهدان، المرجع السابق، ص 89.
- (9) A.N.T ,Gens à surveiller ,Ismail sfayhi ,OpCit .
- (10) العباسي، الشيخان المجاهدان، المرجع السابق، ص 89.
- (11) نفسه، ص 90.

- (12) A.N.T , Gens à surveiller , Ismail sfayhi ancien cadi ,OpCit.
(13) الجالودي ، « الشيخ اسماعيل الصفائحي »، المرجع السابق ، ص102.
- (14) A.N.T , Gens à surveiller , Ismail sfayhi ancien cadi ,OpCit.
(15) الجالودي ، « الشيخ اسماعيل الصفائحي »، المرجع السابق ، ص102.
- (16) A.N.T , Gens à surveiller , Ismail sfayhi ancien cadi ,OpCit.
(17) عبد اللطيف الهرماسي ، المجتمع والإسلام والنخب الاصلاحية في تونس والجزائر دراسة مقارنة من منظور علم الاجتماع التاريخي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة 2018 ص173.
- (18) A.N.T , Gens à surveiller , Ismail sfayhi ancien cadi ,OpCit.
(19) الهرماسي ، المجتمع والإسلام ، المرجع السابق، 173.
- (20) A.N.T , Gens à surveiller , Ismail sfayhi ancien cadi ,OpCit.
(21) العباسي ، الشيخان ، المرجع السابق ، ص92.
- (22) الجالودي ، « الشيخ اسماعيل الصفائحي »، المرجع السابق ، ص 103.
- (23) A.N.T , Gens à surveiller , Ismail sfayhi ancien cadi ,OpCit.
- (24) Ibid.
- (25) محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين ، ج 5 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1984، ص234.
- (26) عبد الجليل التميمي، "من أعلامنا المنسيين: الشيخ صالح الشريف التونسي" ، المجلة التاريخية المغربية ، ، تونس ع23-24، (1981)، ص 345-362.
- (27) Mahfoud Kaddache, **Des Algérien : Histoire d'Algérie** , Edition Rocher noir ,Algerie , 1998,p164.
- (28) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 5 ، 1830-1954 م ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1998، ص 603.
- (29) أصبحت الجمعية الخيرية الإسلامية مركزا للدعاية التركية الألمانية ترأسها محمود شوقي باشا وأمينها الطرابلسي " لبيبي " يوسف شتوان باي من بين أعضائها اسماعيل الصفائحي وصالح الشريف إضافة إلى عبد العزيز جاويش ، كان الهدف الرسمي لهذه الجمعية هو مساعدة المهاجرين القادمين إلى تركيا لكن في

الحقيقة هو جذب أكبر عدد ممكن من المسلمين في هذه البلاد، كانت مكاتب الجمعية متواجدة بالقسطنطينية بحج باب علي مربوطة هاتفيا بوزارة الداخلية والشؤون الخارجية من الباب الفرعي، خصصت لها الدولة منحة سنوية قدرها 560000 "بيستر" وفي حالة حاجتها تعطى لها إعانات من صناديق سرية، بينما المنشير والجرائد تطبع في مطبعة حكومية. نظر: تقرير استعلامات حول تنظيم الدعاية للجامعة الإسلامية، صادر بتونس في 25 فيفري 1920م، أنظر: مركز الوثائق القومي التونسي، الحركة الوطنية، المراقبة السياسية للأهالي، CDNT. B.3.16، (30) الجالودي، «الشيخ اسماعيل الصفائحي»، المرجع السابق، ص 107.

(31) L'Afrique Française (bulletin mensuel), «**LA Tunisie Apres la guerre**», 01-1920, N 01- 12 /1920,N12,Paris , P280 .

(32) La jeune Turquie ,(Journal) , «**Une Réunion Algero_Tunisienne à Istanbul**», serie 01,N 23 ,date le 03-09-1910 ,Paris ,P 02 ,Voir aussi : Victor Bernard ,la mort de Stamboul , Librairie Armand Colin , Paris 2013, P 141-142 .

(33) Le Temps ,(journal) , «**la Jeune – Turquie et l'Europe**», N 17970, le 11/09/1910 ,Paris.

(34) (1) La Dépêche ,(journal quotidien), «**Une manifestation anti française**», le 13/10/1910 ,N 15393 , Paris , P 01 .

(35) ولد في زواصي في لتوانيا بتاريخ 1798/12/24م في عائلة من طبقة النبلاء الصغيرة كان والده محاميا درس الآداب بجامعة ويلنو، سافر إلى موسكو سنة 1825م ليغادرها سنة 1929م، وعرف على أنه زعيم الرومانسيين البولونيين ليمر عبر برلين ومنها إلى سويسرا 1839 حيث عمل كأستاذ للأدب في جامعة لوزان بسوسرا، ثم انتقل إلى إيطاليا، وفي سنة 1848 حاول اقناع البابا بيوس التاسع ان يكون على راس حركة الشعوب التي تناضل من اجل الاستقلال، وفي نفس العام شكل الفيلق البولوني الذي شارك في الكفاح من اجل تحرير ايطاليا وفي سنة 1849 اسس في باريس صحيفة "La tribune des peuples" سافر الى تركيا سنة 1855 لتشكيل جحافل بولندية والتحضير لحرب محتملة ضد روسيا، توفي في 26 نوفمبر 1855 في اسطنبول بداء الكوليرا، وفي سنة 1890 تم نقل رفاته إلى بولونيا أنظر: Adam Mickiewicz , Les Aïeux Dziady, poème, traduit de polonais par Jaques Donguy ,et Michel Maslowsky, édition L'âge D'homme, Lausanne, 1992, pp 7_11

- وبقي بها ،توفي في الهند سنة 1940 بعد رحلة علاج هناك. أنظر: إبراهيم أبو اليقضان، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، الدار العمانية ،عمان 1956، صص145،140.
- (44) الفاسي ،الحركات الاستقلالية ،المصدر السابق ،ص45.
- (45) الساحلي ، فصول في التاريخ والحضارة ،المرجع السابق ،ص184-185.
- (46) Ismail Sefaihi , Saleh Cherif, La Tunisie et l'Algérie, Librairie Nouvelle De Lausanne , Lausanne 1917,P 23.
- (47) تقرير موجه من وزير الخارجية الفرنسية إلى المقيم العام بتونس بتاريخ 11 جانفي 1916م
A.N.T , Gens à surveiller , Ismail sfayhi ancien cadi ,OpCit.
- (48) A.N.T , Gens à surveiller , Ismail sfayhi ancien cadi ,OpCit .
- (49) خير الدين شترة ، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية ،دار البصائر ،الجزائر 2008 ، ص155.
- (50) بلقاسم الاتجاه الوجدوي ،المرجع السابق ،ص88.
- (51) شترة ، إسهامات النخبة الجزائرية، المرجع السابق ، ص160.
- (52) بلقاسم ، الاتجاه الوجدوي ،المرجع السابق ، ص91.
- (53) يوسف مناصرية ، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين ، دار هومة ، الجزائر 2014 ، ص61.
- (54) تقريراستعلامات فرنسي حول تنظيم الدعاية للجامعة الاسلامية ، صادر بتونس في 25 فيفري 1920 م. أنظر: مركز التوثيق القومي التونسي ،الحركة الوطنية ،المراقبة السياسية للأهالي ، CDNT. B.3.16.
- (55) الجالودي ، « الشيخ اسماعيل الصفائحي » ، المرجع السابق ، ص104.
- (56) أبو القاسم محمد كرو ، مستدرك الفهرس التاريخي للمؤلفات التونسية ،بيت الحكمة ، بيروت 1988، ص24.
- (57) حمادي الساحلي ، "نشاط الوطنيين التونسيين في المهجر أثناء الحرب العالمية الاولى " ، المجلة التاريخية المغربية ، ع33-34 ، 1984 ، ص185.

- (58) بلقاسم ، الاتجاه الوحدوي ، المرجع السابق، ص 98-101.
- (59) انده ، «الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي»، المرجع السابق ، ص 61.
- (60) صلاح العقاد ، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر. تونس . المغرب الاقصى ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ، ط6 - 1993 ، ص 324.
- (61) حمادي الساحلي ، « نشاط الوطنيين التونسيين ، المرجع السابق » ، ص 187.
- (62) الجالودي ، « الشيخ اسماعيل الصفناحي » ، المرجع السابق ، ص 109.
- (63) بلقاسم ، الاتجاه الوحدوي ، المرجع السابق، ص 98-101.
- (64) A.N.T, Gens à surveiller , Ismail sfayhi, OpCit.
- (65) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ص 217.
- (66) الفاسي ، الحركات الاستقلالية ، المصدر السابق، ص 55.
- (67) الجالودي ، « الشيخ اسماعيل الصفناحي » ، المرجع السابق ، ص 115.
- (68) محرر إداري صادر عن باي تونس في 6 جوان 1917 م ، تم بموجبه مصادرة أملاك إسماعيل الصفناحي. CDNT.Doc N°26.B.1.28 .
- (69) A.N.T, Gens à surveiller , Ismail sfayhi, OpCit .
- (70) A.N.T, Gens à surveiller , Ismail sfayhi, OpCit .
- (71) محرر إداري صادر عن عائلة إسماعيل الصفناحي تطالب فيه باسترداد أملاكه المصادرة. Archive National Tunisienne , Gens à surveiller , Ismail sfayhi ancien cad , 1895-1924 , gouvernement Tunisien , section surveillance politique indigènes .
- (72) A.N.T, Gens à surveiller , Ismail sfayhi, OpCit .
- (73) مركز التوثيق القومي التونسي ، الحركة الوطنية ، محمد باش حامبة ، CDNT.Doc N°26.B.1.28
- (74) A.N.T, Gens à surveiller , Ismail sfayhi, OpCit .
- (75) Ibid.
- (76) الجالودي ، « الشيخ اسماعيل الصفناحي » ، المرجع السابق ، ص 99.